



هو الإمام العلام المحقق، وأحد أعيان علماء المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، الشیخ عبد القادر بن أحمد، فقيه أصولي حنفي، لقب بابن بدران، نسبة إلى بدران السعدي الجد الأكبر للأسرة، وهو حجازي الأصل منبني سعد.

ولد ابن بدران في أسرة صالحة تقية، سنة 1280هـ، وقيل: 1265هـ، وذلك ببلدة دوما، التي تقع بريف دمشق.

مررت مسيرة ابن بدران في طلب العلم، عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ببلدته دوما، حيث أُلْحِقَ في صغره بكتاب الشیخ عدنان بن محمد عدس في جامع المسید، حيث تعلّم مبادئ القراءة والكتابة.

المرحلة الثانية: ببلدته دوما كذلك، عند بلوغه سن الرشد، حيث انتقل إلى الجامع الكبير، وتلقى العلم فيه على يد جده الشیخ مُصطفى بدران وكان ضريراً، ثم على يد شیخه الشیخ محمد بن عثمان الحنبلي، المشهور بخطيب دوما (ت 1308هـ)، فقرأ عليه كتاباً مختصر الإفادات للعلامة البهائى الحنبلي، وتأثر بأسلوبه وطريقته.

المرحلة الثالثة: مرحلة الرحالة في طلب العلم، حيث انتقل إلى دمشق، حاطاً رحاله بدار الحديث الأشرفية، التي كان يُقيم فيها محدث الشام العلام محمد بدر الدين الحسني - رحمه الله تعالى -، فاتصل به، وأخذ عنه، ومدحه، وأنهى عليه، وتلقى في

هذه الدار كذلك عن شيخ الشام، ورئيس علمائها الشيخ المحدث سليم بن ياسين العطار، الشافعي، وقد أجازه بالحديث إجازة عامة، وذلك في رمضان سنة 1306 هـ، كما درس علوم اللغة العربية على يد الشيخ طاهر الجزائري، أحد كبار علماء الشام ومصلحيها.

ويبدو أن تلقى العلوم الشرعية عن العلماء، لم يتم فترة طويلة، لأنّه كان قد تلقى نصيحةً عن شيخه خطيب دوما، تحضّر على الاجتهاد في القراءة وإرادة الفهم، يقول ابن بدران: "ولما أخذت نصيحته مأخذ القبول لم أحتج في القراءة على الأسساتنة العلوم والفنون، إلى أكثر من ست سنين" [المدخل: ص 488].

بعد هذه السنين السّت، أكبّ ابن بدران على الكتب ينهل من معينها في كلّ الفنون والعلوم، بيد أنه أولى عناية خاصةً لعلم أصول الفقه الذي لم يكن محل إقبالٍ من طلاب العلم، بل كان بعض العلماء يزهد فيه، إذ يرى فيه فتحاً لباب الاجتهاد المسود في نظرهم، يقول: "حتى كنت أسمع من كثيرٍ ممن يدعى العلم يقول: ما ضرّ الأمة إلا فن الأصول؛ لأنّه يعلم الناظر فيه الأخذ بالدليل، فكنت لا أغيّر بالواشي، ولا أميل إلى الألاهي، مهما كانت رتبته، فشرعت بقراءة "شرح الورقات" و "شرح شرحها" للعبادي، و "حصول المأمول من فن الأصول" ثم بـ "شرح جمجمة الجوامع"، للمحلّي مع مطالعة حواشيه، و "شرحه العراقي"، و بـ "شرح المنهج" للبيضاوي، و بـ "شرح العضد على مختصّ ابن الحاجب"، وبمطالعة شرحه و بـ "التوضيح شرح التنقح"، و حاشيته للتلويع، و بـ "شع المرأة" مع مطالعة حواشيه، هذا مع ما كنت أشتغل به من الفنون التي هي مواد هذا الفن، ولا يخفى مكانها ومoward الكتاب والسّنة" [نזהه الخاطر العاطر شرح روضة الناظر: 2/473].

من مشائخه:

ابتدأ طلب العلم في بلاده دوماً على يد مشايخها، ابتدأ بجده الشيخ مصطفى بدران، ثم على يد شيخه الشيخ محمد بن عثمان الحنبلي، المشهور بخطيب دوماً، ثم انتقل إلى دمشق، فطلب العلم على يد محدث الشام العلامة محمد بدر الدين الحسني رحمه الله، وتلقى في هذه الدار كذلك عن شيخ الشام، ورئيس علمائها الشيخ المحدث سليم بن ياسين العطار، كما درس علوم اللغة العربية على يد الشيخ طاهر الجزائري، أحد كبار علماء الشام ومصلحيها.

ثم أكبّ على الكتب ينهل من معينها في كلّ الفنون والعلوم، فبرع فيسائر العلوم العقلية والأدبية والرياضية، وبحّ في الفقه والنحو، بيد أنه أولى عناية خاصةً لعلم أصول الفقه، فكان رحمة الله علّماً من الأعلام، عُيّن مفتياً للحنابلة، ومدرساً بالجامع الأموي.

بدأ يلقي دروساً منتظمةً في جامع دوما الكبير، وأصبح عضواً في شعبة المعارف، التي تشكلت سنة (1309هـ) لنشر العلم والثقافة والتربية، وشحد هم الناس على تعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكتاتيب والمدارس.

حياته العلمية والعملية:

- بعد أن قضى ابن بدران قرابة ست سنوات بدمشق، ينهل من معين علمائها، عاد إلى بلده دومة، وبدأ يلقي دروساً منتظمةً في جامعها الكبير، يشرح فيها الفقه الحنبلي من كتاب "شرح مُنتهى الإرادات" للبهوتى، وذلك إلى أن تعرض للمحنة التي أدت إلى نفيه من بلاده إلى دمشق.
- بعد عودته إلى دوما عقب انجلاء المحنة، أصبح عضواً في شعبة المعارف، التي تشكلت سنة (1309هـ) لنشر العلم والثقافة والتربية، وشحد هم الناس على تعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكتاتيب والمدارس.
- وُعيّن مصححاً ومحرراً بمطبعة الولاية وجريدة لها.
- اشتراك في عهد الأتراء بتحرير جريدة المقتبس، وكتاب في صحيف دمشق كالمسكاة والشام والكتابات والرأي العام.
- في 9 تشرين الثاني سنة 1909 م أي سنة 1329 هـ أنشأ مجلة "موارد الحكمة".
- اشتغل بالتدريس في الجامع الأموي، وأقام أكثر حياته يدرس تحت قبة النسر الحديث والفقه، وكان مما درسه

- كتاب "عمدة الأحكام" لحافظ عبد الغني المقدسي - رحمة الله .
- يقول العلامة محمد بهجة البيطار - رحمة الله تعالى - : "وكان - أى ابن بدران - يقرأ درساً عاماً في جامعبني أمية يميل فيه إلى التجديد والفلسفة" [في مقدمة كتاب منادمة الأطلال، لابن بدران].
 - عينه الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله مفتياً للديار الحجازية في سوريا، وذلك لشدة ثوقه واعتماده عليه، يؤكّد هذا ما ذكره العلامة خير الدين الزركلي - رحمة الله . من أنّ ابن بدران قد : "ولي إفتاء الحنابلة".
 - وقال محمد بن سعيد الحنبلي: "وكان ... كثيرون انتقل بين قرئ غوطة الشام لتبليغ العلم للعامّة، وتعلّيمه للطلبة الذين لا يستطيعون الرحّلة . . . وكان فيما مضى يدرس تحت قبة النسر في الجامع الأموي التفسير والحديث والفقه، ثم انتقل إلى مدرسة عبد الله باشا العظيم المشرفة على القلعة الفرنسيّة"، والتي مكتّف فيها ما يقارب نصف قرنٍ من الزمان، ينام فيها، وبعيش من الراتب المخصوص له من دائرة الأوقاف.
 - وقد كتب يصف حاله هذه، في خاتمة المجلد الأول من كتابه "موارد الأفهام" فقال: "وهنا إنْتَهَى المجلد الأول من "موارد الأفهام" على يد مُنشئه العاجز الحقير الغريب في أوطانه، الساكن مساكن الغرباء، الفقير عبد القادر بن أحمد الشهير كأسلافه بابن بدران، وذلك في مدرسة عبد الله باشا العظيم في دمشق الزاهرة".

أبرز تلاميذه:

- العلامة الأديب الشاعر محمد سليم الجندي . من أعضاء المجمع العلمي بدمشق، توفي سنة 1357 هـ .
- الشاعر الأديب محمد محمود البزم، الدمشقي المؤيد والوفاة، العراقي الأصل، توفي سنة 1357 هـ ترجم له الزركلي في "الأعلام" (91/7) وأشار إلى أنه أخذ عن ابن بدران .
- فخرى بن محمود البازوري . من رجال السياسة، توفي سنة 1386 هـ كما في المستدرك على مجمع المؤلفين ص 544.
- منيف بن راشد اليوسف، ابن أخي الوزير أمير الحج عبد الرحمن باشا آليوسف .
- العلامة الشيخ محمد صالح الشافعي: الذي كان يقال عنه "الشافعي الصغير" توفي سنة 1309 هـ .
- العلامة الشيخ محمد أحمد دهمان، وهو من أخص تلاميذ ابن بدران، فقد ترك فيه أبلغ الأثر وزرع فيه حبّة العلم والإصلاح، وقد أسس في حياة شيخه المطبعة والمكتبة السلفية بدمشق، حيث طبع بعض مؤلفات شيخه ابن بدران، وترك مؤلفات وتحقيقات عديدة خصّ بيده دمشق بمزيد منها . توفي - رحمة الله تعالى - سنة 1408 هـ .
- المؤرخ خير الدين الزركلي ، صاحب كتاب الأعلام.

صفاته وثناء العلماء عليه:

قال العلامة خير الدين الزركلي : "فقيه أصولي حنبلي، عارف بالأدب والتاريخ . . . حسن المحاضرة، كارها للمظاهر، قانعا بالكافف، لا يعني بمطلب أو بمقابل، يصعب لحيته بالحناء . . . ضعف بصره قبل الكهولة، وخلج في أعوامه الأخيرة، ولبي إفتاء الحنابلة".

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي - رحمة الله تعالى - : "العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران، مدرس الجامع الأموي، وشيخ الحنابلة في البلاد السورية، ومحدث الشام، وأحد أعضاء رئاسة العلمية بدمشق" [علامة الكويت الشيخ عبد الله الدحيان، للشيخ محمد بن ناصر العجمي].

عقيدته:

عاش العلامة ابن بدران في بيته صوفية، يশوّه فيها الجهل، حتى كان بعض من تلقى منهم ذوي مسلك صوفي، وكانت له رحلة في طريق الهدایة، شبيهة برحالة الإمام أبي حامد الغزالى، بيد أنه وفق فيها إلى اتباع طريق السلف، يصف هذه الرحلة بقوله: "إنّي لِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِطَلَبِ الْعِلْمِ، هَجَرْتُ لَهُ الْوَطَنَ وَالْوَسَنَ، وَكُنْتُ أَبْكِرُ فِيهِ بُكُورَ الْغَرَابِ، وَأَطْوُفُ الْمَعَادِ

لِتحصيله، وأذهب فيه كُلَّ مذهبٍ، وأتبع فيه كُلَّ شعبٍ ولو كان عسراً، أشرف على كُلِّ يفاعٍ، وأتأمل كُلَّ غورٍ، فتارةً أطوح بنفسي فيما سلَّكَهُ ابن سينا في "الشفا" و"الإشارات" وتارةً ألتَّقَفُ ما سبَّكهُ أبو نصر الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات، وتارةً أجُولُ في مواقف المقادير، و"المواقف"، وأحياناً أطلب "الهداية" ظناً مني أنها تهدي إلى رشدٍ فأضم إليها ما سلَّكَهُ ابن رشدٍ، ثم أرددُ في الطبيعى والإلهي نظراً، وفي تشريح الأفلاك أتطلب خبراً أو خبراً، ثم أجُولُ في ميادين العلوم مدةً كعدد السبع البقرات العجاف، فارتدى إلى الطرف خاسياً وهو حسيراً، ولم أحصل من معرفة الله جل جلاله إلا على أوهام وخطراتٍ... فلما همت في تلك البيداء...؛ ناداني منادي الهوى الحقيقى : هلم إلى الشرف والكمال، ودع نجاة ابن سينا المؤهومة إلى النجاة الحقيقية، وما ذلك إلا بأن تكون على ما كان عليه السلف الكرام من الصحابة والتبعين." [المدخل: ص 42 - 43]

ويقول الشيخ محمود الأرناؤوط: "كان حرياً على أصحاب الطرق الصوفية فحملوا عليه وحاربوه، فانتصر له جمعٌ من العلماء في الشام ممن كانوا يرون أنه على حق، أمثال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي، والعلامة الشيخ طاهر الجزائري، وكانوا يحثان الناشئة على حضور مجالسه والاغتراف من زاده العلمي".

صلاته وعلاقاته:

عُرف ابن بدران بحب العزلة والانفراد، وذلك بعد توصل المحن عليه، وحسدٍ كثيرٍ من معاصريه له. ومع هذه العزلة فقد كانت له صلاتٌ جيدةً بجماعةٍ من العلماء والأدباء، والحكام والسياسيين، ومنهم:

- **أولاً:** عالمة الكويت الشیخ عبد الله بن دحیان، كانت له به صلةً مودةً وثيقة، توطدت من خلال مراسلاتٍ علميةٍ ومذكراتٍ فقهيةٍ ورسائلٍ قديمة، وكان من ثمرة هذه العلاقة مؤلفٌ مُستقلٌّ لـ"الفهاب ابن بدران جواباً على أسئلة ابن دحیان عالمة الكويت" ، رَحْمَ اللهُ الْجَمِيع .
- **ثانياً:** الأمير عبد القادر الجزائري، الذي اتّصل بابن بدران، واصطحبه في رحلته إلى أوروبا والمغرب، والتي دامت ستة أشهر، ذكرها ابن بدران في كتابه "تسليمة للبيب" وصاغ مذكرياته فيها شعراً أودعه ديوانه: "تسليمة للبيب".
- **ثالثاً:** الوجيه محمود البارودي، أحد رجال السياسة والتجارة في سوريا الذي نزل ابن بدران في ضيافته سنتين ونصف السنة بعد نفيه من بلاده دوماً وهجرته إلى دمشق.
- **رابعاً:** العالمة المصلح المفسر المحدث محمد جمال الدين القاسمي، ويقول العالمة الشیخ محمد بهجة البيطار في كتابه عن شیخه جمال الدين القاسمي وابن بدران : "وكانت صلتهُ - أي ابن بدران - بالسيد القاسمي حسنة، وكان له ولشيخنا القاسمي أملٌ كبيرٌ، وسعى عظيم في تجديد اللنهضة الدینية العلمية في هذه الدیار، فقد أشبعها - رحمه الله تعالى - أئمة السلف تعليماً للخواص، وإرشاداً لليوعام، وتأليفاً للكتب النافعة، وزهداً في حطام الدنيا الزاللة".
- **خامساً:** وأمير الحاج وصدر سورية الأمير عبد الرحمن باشا اليوسف (ت: 1339هـ)، وتوج ابن بدران صيته به بأن ألف كتاباً في سيرته سماه: "الكوكب الدرية في تاريخ عبد الرحمن باشا اليوسف صدر سورية" ، وطبع في مطبعة الفيحاء بدمشق سنة (1339هـ).
- **سادساً:** العالمة الرحل الأستاذ خليل بن بدر الخالدي المقدسي (ت: 1360هـ) الذي كان أujeبة في معرفة المخطوطات وأماكن وجودها. يقول العالمة محمد بهجة البيطار: "وكان لي شرفٌ ضيافة الأستاذ المترجم - أي ابن بدران - ليلةً مع صديقه الرحال الجليل الأستاذ خليل الخالدي المقدسي فأخذ الأستاذ بدران يسألُه عمّا رأى من نفائس الكتب الإسلامية الخطية في بيار المغرب لاسيما الأندلس، والأستان الخالدي يجيبه من حفظه بلا تلعثم ولا ترثٍ كأنما يُملي من كتابٍ، وقد كُنْتُ مُعجباً بالسؤال والجواب غایة إلْعَجَاب".
- **سابعاً:** الملك عبد العزيز آل سعود، وأهداه كتابه: "نُزَّهَةُ الْخَاطِرِ الْعَاطِرِ شَرْحُ رُؤْسَةِ النَّاظِرِ" ، فأمر الملك عبد العزيز بطبع الكتاب على نفقته، كما كان الملك عبد العزيز يرسلُ لابن بدران جماعاتٍ من أهلِ نجد، يستفيدون منه، وينهلوُنَ من علمِه، وإن كانت المصادر لا تُفيد بأنهما قد التقى.

شكواه من أهل زمانه:

أبْتُلِي إِبْنُ بَدْرَانَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ابْتِدَاءً مِنْ أَهْلِ بَلْدَتِهِ دُومَا، الَّتِي أَخْرَجَهُ أَهْلُهَا مِنْهَا بَعْدَ أَنْ عَادَ إِلَيْهَا مِنْ سَفَرِهِ إِلَى أُورُبِّيا وَالْمَغْرِبِ.

وَعِنْ أَسْبَابِ إِخْرَاجِهِ مِنْ دُومَا، يَذْكُرُ فَخْرِيُّ الْبَارُودِيُّ فِي "مُذَكَّرَاتِهِ" عَنْ إِبْنِ بَدْرَانَ أَنَّهُ كَانَ "لَا يَهَابُ أَحَدًا، فَوَقَعَتْ مَرَّةً مُشَادَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَئِيسِ بَلْدَيَّهُ دُومَا صَالِحِ طَهَ، وَتَبَادَلَا الْهَجَاءَ، وَعَلَى الْأَنْتِرِ إِسْتَصْدَرَ طَهُ مِنَ الْوَالِي أَمْرًا بِإِبْعادِ الشَّيْخِ بَدْرَانَ عَنْ دُومَا، فَانْتَقَلَ إِلَى دِمْشَقَّ، وَكَانَ هَذَا النَّفِي لِمَدَّةِ سَنَتَيْنِ .

كَمَا أَنَّ إِبْنَ بَدْرَانَ إِشْتَكَى مِنَ الْجَاهَلَةِ الْمُتَعَالِمِينَ فِي زَمَانِهِ فَقَالَ : "وَمِمَّا أُبْتُدِعُ فِي زَمَانِنَا أَنَّهُمْ يَجْمِعُونَ أَهْلَ الْعَمَائِمِ، فَيَنْتَخِبُونَ مُفْتِيًّا، وَيَحْصِرُونَ الْفَقْوَى فِيهِ، فَكَثِيرًا مَا يَنَالُ هَذَا الْمَنْصِبُ الْجَاهِلُ الْغَمْرُ الَّذِي لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ عِبَارَةٌ بَعْضِ كُتُبِ الْفُرُوعِ مَا عَرَفَ لَهَا قَبِيلًا مِنْ نَبِيٍّ، فَنَسَأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْعَافِيَّةِ، وَقَالَ يَصُفُّ حَالَ الْعِلْمِ فِي زَمَانِهِ أَنَّهُ أَصْبَحَ: "جَدَّاً لِلْبَلَادِ بِلَا مَاءٍ وَخِلَافًا بِلَا نَمَّ، وَعِمَائِمَ كَالْأَبْرَاجِ، وَأَكْمَامِ كَالْأَخْرَاجِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى" [العقود الياقوتية: ص 106].

محبة لوطنه:

أَحَبَّ إِبْنُ بَدْرَانَ دِمْشَقَ - حَمَاهَا اللَّهُ وَسَائِرَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ - فَقَامَ بِخِدْمَتِهَا، وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي مَدَارِسِهَا، كَمَا أَنَّهُ هَذِبَ (تَارِيخُ دِمْشَقِ) لِابْنِ عَسَاكِرِ حِيثُ يَقُولُ فِي مَطْلَعِ الْمُجَلَّدِ الْأَوَّلِ : "... وَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ كِتَابًا أَخْدُمُ بِهِ أَهْلَ الْوَطَنِ، وَهَدِيَّةً لِمُحِبِّي الْعِلْمِ الْنَّاهِجِينَ فِيهِ عَلَى أَقْوَامَ سُنْنِ ...".

كَمَا أَلَّفَ أَيْضًا فِي الْمُفْتِينَ بِالشَّامِ كِتَابًا سَمَاهُ : (الرَّوْضُ الْبَسَامُ فِي تَرَاجِمِ الْمُفْتِينَ بِدِمْشَقِ الشَّامِ)، وَجِينَمًا كَانَ فِي الْجَزَائِيرِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى بَلْدَتِهِ دُومَا يَذْكُرُ مِرَابِعَهَا، وَيُعْبِرُ عَنْ شَوْقِهِ إِلَيْهَا.

شعره:

كَانَ شَاعِرًا وَأَدِيبًا وَقُطْبًا وَعَالِمًا فَدًا بَلِيجًا، وَقَدْ شَمِلَ شِعْرُ إِبْنِ بَدْرَانَ فُنُونَ الشِّعْرِ كُلُّهَا؛ كَالْمُدِيْجِ وَالْغَزَلِ وَالْوَصْفِ وَالرِّثَاءِ وَالْهِجَاءِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمُرَاسِلَاتِ، وَغَيْرِهَا. كَمَا نَرَى فِيهِ جَمَالَ صُنْعَةِ الشِّعْرِ مِنْ تَوْرِيَةِ وَجِنَاسِ وَطِبَاقِ وَتَشْطِيرِ وَتَخْمِيسِ وَتَطْرِيزِ وَمُوشَحَاتِ وَتَضْمِينِ وَإِجازَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَنَقَرَأُ فِي مُقْدِمَةِ دِيْوَانِهِ هَذِهِ الْدِيَبَاجَةُ الْلَّطِيفَةُ: "... لَمَّا كَانَتْ بَنَاتُ الْأَفْكَارِ أَغْلَى مِنْ بَنَاتِ الْأَبْكَارِ، وَمَحَاسِنُ الْتَّشْبِيهِ رِيَاضَ الْأَدِيبِ الْأَلَّيِّ، وَيَدَايَعُ الْبَدِيعَ أَبْدَعَ مِنْ أَزْهَارِ الْرَّبِيعِ، وَتَذَكَّرُ الدِّمَنُ وَالْمَنَازِلُ أَسْكَرَ مِنْ إِحْتِسَاءِ الْبَلَابِلِ، وَأَسْحَرَ مِنْ سِحْرِ بَابِلَ، وَالْغَزَلُ وَالنَّسِيبُ نَسِيبِينَ لِذِكْرِي حَبِيبِ، وَشَكْوَى الْأَرْقِ وَالْهَجْرِ أَرْقَ مِنْ نَسِيمِ الْفَجْرِ ...".

وَمِمَّا يَدْلُلُ عَلَى عِنَايَتِهِ بِالشِّعْرِ أَنَّهُ أَلَّفَ كِتَابًا أَسَمَاهُ : (الْمَنْهُلُ الصَّافِي) فِي شَرْحِ الْكَافِي فِي الْعَرْوَضِ وَالْقَوَافِيِّ.

مكتبه:

يَقُولُ الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ طَالِبُ الدِّوْمِيِّ: "أَمْتَلَكَ إِبْنُ بَدْرَانَ مَكْتَبَةً عَلَمِيَّةً جَيِّدةً، تَضُمُّ نَفَائِسَ الْمُخْطُوطَاتِ، وَخَاصَّةً فِي الْمَذَهَبِ الْحَنْبَلِيِّ، وَرَثَ بَعْضَهَا عَنْ جَدِّهِ لَأَمَّهِ الشَّيْخِ الْفَقِيْهِ أَحْمَدَ بْنِ مَصْطَفَى بْنِ حَسِينِ النَّعْسَانِ (ت: 1281هـ)، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ تَمَلَّكَهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ وُهِبَ لَهُ. ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا حَصَلَتْ لَهُ تَلَكَ الْفَتْنَةُ الْمُظْلَمَةُ فِي بَلَدِهِ، وَهَاجَ عَلَيْهِ جَهَلَةُ الْخَلْقِ، وَاسْتَدْعَوْا عَلَى مَكْتَبَتِهِ، فَأَحْرَقُوا مَا وَجَدُوهُ فِيهَا. كَمَا حَدَّثَنِي بِذَلِكَ بَعْضُ كِبَارِ السِّنِّ فِي دُومَةِ، وَلِذَلِكِ حُقُّ لَهُ أَنْ يَصِمَّهُمْ بِالْحُمُرِ الْمُسْتَنْفِرَةِ، وَيَصُبُّ جَامِ غَضِبِهِ عَلَيْهِمْ فِي دِيَبَاجَةِ كِتَابِهِ (الْمُنَادِمَةِ). وَمَا بَقَى مَعَهُ مِنْ مَكْتَبَتِهِ احْتَمَلَهُ إِلَى دِمْشَقَ، وَأَوْدَعَهُ غُرْفَتَهُ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّ مَكْتَبَتَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ قُدْ صَارَتْ لَعْدَةً أَشْخَاصِ، مِنْهُمْ: الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّرَّةِ الدُّوْمِيُّ، وَكَانَ بَعْضُهَا مِنْ نَصِيبِ الأَسْتَاذِ شَامِلِ الشَّاهِينِ، مِنْهَا خَمْسَةٌ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ إِبْنِ بَدْرَانَ بَخْطَهِ، وَمِنْهُمُ الأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْعُمَانِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، حِيثُ قَالَ فِي تَرْجِمَةِ إِبْنِ بَدْرَانَ بَعْدَ ذِكْرِ كِتَبِهِ: 'هَذَا سُوَى مَا لَدَيْ مِنَ الرَّسَائِلِ وَالْفَتاوَى مِنْ أَصْنَافِ الْعِلُومِ، مِمَّا لَوْ جَمِعَ لَبَلَغَ مُجَلَّدَاتِ، وَمَا كَانَ يَقُولُ فِي كُرَاسِ أوْ كُرَاسِينِ أَضْرَبَنَا عَنْهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ'.

قلتُ: ولِيَتَهُ لَمْ يَخَفْ مِنْ هَذِهِ الإِطَالَةِ، فَلَقَدْ حَرَمَنَا هَذَا الْخَوْفُ كَثِيرًا مِنَ النَّفَائِسِ. وَصَارَ جُزْءٌ أَخْرُ بِحَوْزَةِ الأَسْتَاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ زُهَيْرِ الشَّاَوَّاَشِ، فِي مَكْتَبَتِهِ فِي بَيْرُوتَ. أَقُولُ: وَلَا زِلتُ أَسْمَعُ بِوْجُودِ كِتَابٍ أُخْرَى مِنْ مَكْتَبَةِ ابْنِ بَدْرَانَ لَدَى بَعْضِ الْأَسْرِ فِي دُوْمَةَ، وَلَكُنْ لَمْ أَسْتَطِعُ الْوَصُولَ إِلَى شَيْءٍ مَلْمُوسٍ فِي الْوَاقِعِ، فَاللَّهُ يُبَشِّرُ بِغَضِيلِهِ وَمَنَّهُ.

مُؤَلفاتُهُ:

- جَادَتْ قَرِيَحَةُ الْعَالَمَةِ ابْنِ بَدْرَانَ بِمُؤَلَّفَاتِ جَلِيلَةِ، وَمُصَنَّفَاتِ مُفَيَّدَةِ، بِلْغَتْ قَرَابَةَ الْخَمْسِينَ مَصْنَفًا، فَمِنْ أَبْرَزِهَا:
- 1- إِيْضَاحُ الْمَعَالِمِ مِنْ شَرْحِ الْعَالَمَةِ ابْنِ النَّاظِمِ، وَهُوَ شَرْحٌ عَلَى الْفَيْيَةِ ابْنِ مَالِكٍ فِي النَّحْوِ، يَقْعُدُ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ.
 - 2- جَوَاهِرُ الْأَفْكَارِ وَمَعَادِنُ الْأَسْرَارِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْعَزِيزِ الْجَبَارِ، ذَكَرُهُ فِي كِتَابِهِ "الْمَدْخُلُ" ص 447، وَهُوَ لَمْ يُكُمِّلْ، وَأَخْبَرَنِي الشَّيْخُ زُهَيْرُ الشَّاَوَّاَشِ أَنَّهُ يَطْبَعُ الْمَوْجُودَ مِنْهُ وَهُوَ جُزْءٌ لَيْسَ بِالْكَبِيرِ.
 - 3- حَاشِيَةُ عَلَى أَخْصَرِ الْمُخْتَصَرَاتِ الْبَلَبَانِيِّ.
 - 4- حَاشِيَةُ عَلَى شَرْحِ مُنْتَهَى الْإِرَادَاتِ. يَقْعُدُ فِي جُزْئَيْنِ، وَصَلَّى فِيهِ إِلَى بَابِ السَّلَامِ.
 - 5- "حَاشِيَةُ الرَّوْضِ الْمُرْبِعِ شَرْحِ زَادِ الْمُسْتَقْنِعِ". الْجُزْءُ الْأَوَّلُ: مَخْطُوطٌ.
 - 6- دِيوَانُ تَسْلِيَةِ الْلَّبِيبِ عَنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ. مَخْطُوطٌ.
 - 7- ذِيلُ عَلَى طَبَّاقَاتِ الْحَنَابِلَةِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ ذَكَرُهُ نَاسِرُ الْكَوَاكِبِ الْدُّرِّيَّةِ فِي فَهْرِسِ مُؤَلَّفَاتِ ابْنِ بَدْرَانَ الْمَذْكُورَةِ عَلَى طُرَّةِ الْكِتَابِ.
 - 8- سَبِيلُ الْرَّشَادِ إِلَى حَقِيقَةِ الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ. جُزْءَانِ، ذَكَرُهُ الْعُمَانِيُّ فِي آخِرِ "الْمَدْخُلُ" ص ب، وَالْبَيْطَارُ فِي مُقْدِمَةِ "مُنَادِمَةِ الْأَطْلَالِ" ص (ن).
 - 9- شَرْحُ سُنْنِ النَّسَائِيِّ. ذَكَرُهُ فِي "الْمَدْخُلُ" ص 477 و "كِفَايَةُ الْمُرْتَقِي" ص 52.
 - 9- شَرْحُ نُونِيَّةِ ابْنِ الْقِيمِ. أَشَارَ إِلَيْهِ فِي "الْمَدْخُلُ" ص 61 و "كِفَايَةُ الْمُرْتَقِي" ص 52.
 - 10- الْمَدْخُلُ إِلَى مَذَهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.
 - 11- مَوَارِدُ الْأَفْهَامِ عَلَى سَلْسِيلِ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ. فِي مُجَلَّيْنِ.
 - 12- تُرْهِهُ الْخَاطِرِ الْعَاطِرِ شَرْحُ رَوْضَةِ الْنَّاظِرِ وَجَنَّةِ الْمَنَاظِرِ لِابْنِ قُدَامَةَ.

عُزُوبَتُهُ:

وَالْعَالَمَةُ ابْنُ بَدْرَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَزَابِ يَقُولُ أَلْأَسْتَاذُ أَدْهُمُ آلُ الْجِنْدِيِّ إِنَّهُ "آثَرُ الْعُزُوبَةِ فِي حَيَاتِهِ لِيَتَفَرَّغَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْتَّدْرِيسِ".

مَرَضُهُ وَوَفَاتُهُ:

عاشَ المَرْحَلَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْ حَيَاتِهِ، فِي غَرْفَةِ مَتَوَاضِعَةٍ، مَلْحَقَةً بِإِحدَى مَدَارِسِ الْأَوقَافِ، فَأَصْبَبَ بِدَاءَ الْفَالِجِ، وَنُفِّلَ إِلَى الْمُسْتَشْفَى الَّتِي مَكَثَ فِيهَا حَوْنَ سِنَّةً أَشْهُرٍ ثُمَّ خَرَجَ، لِيُصَابَ بِعُدُّهَا بِضَعْفٍ فِي بَصَرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْكِتَابَةِ، إِلَى أَنْ وَافَاهُ الْأَجْلُ الْمُحْتَومُ بِمَدِينَةِ دِمْشِقَ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ الثَّانِي مِنْ عَامِ 1346هـ الْمُوَافِقِ 25/9/1927م، وَدُلِكَ فِي مُسْتَشْفَى الْغَرَبَاءِ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْبَابِ الصَّفِيرِ بِدِمْشِقَ.

رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ بَدْرَانَ: فَقَدْ عَاشَ غَرِيبًا، وَمَاتَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغَرَبَاءِ!

المصادر:

المصادر التي اهتمت بالترجمة لابن بدران:

هذا قائمةً أعدّها الباحث الشيخ نور الدين طالب الدومي، تشتمل على معظم المصادر التي اهتمت بالترجمة، للشيخ العالمة

ابن بدران، مع تحديد أرقام الصفحات التي يوجد فيها ترجمته، في كل كتابٍ منها، على النحو التالي:

- * منتخبات توارييخ دمشق، لتقى الدين الحصني (2/ 762 - 763).
- * أعلام الأدب والفن، لأدهم الجندي (1/ 224، وما بعدها).
- * أعيان دمشق، لمحمد جميل الشطي الحنبلي (ص: 345).
- * المقدمة التي كتبها محمد بهجت البيطار، لكتاب ابن بدران: 'منادمة الأطلال'، (ط: المكتب الإسلامي).
- * ترجمة لابن بدران كتبها محمد بن سعيد الحنبلي، في خاتمة 'المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل'.
- * 'الأعلام' لخير الدين الزركلي (4/ 37).
- * 'معجم المؤلفين'، لعمر رضا كحاله (2/ 184 - 185).
- * 'الأعلام الشرقية'، لزكي مجاهد (2/ 128 - 130).
- * 'معجم المطبوعات العربية والمغربية'، لسركيس (ص: 541).
- * 'معالم وأعلام' لأحمد قدامة (1/ 123).
- * 'معجم المؤلفين السوريين'، لعبد القادر عياش (ص: 257).
- * 'تاريخ دومة' لمعرف زريق (ص: 103 - 104).
- * 'شعراء من دومة' لمعرف زريق (ص: 98، وما بعدها).
- * 'تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري'، لمحمد مطيع الحافظ (1/ 300).
- * 'علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي'، لمحمد بن ناصر العجمي.
- * مواضع متفرقة من كتب الشيخ ابن بدران؛ كـ 'تهذيب تاريخ دمشق'، وـ 'المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل'، وـ 'منادمة الأطلال'، وـ 'نזהة الخاطر العاطر'، وـ 'حاشية أخصر المختصرات'، وـ 'تسليمة الليبيب'، وـ 'العقود الياقوتية'، وغيرها.
- * مشافهات عديدة من أهل دومة، ضمنها الشيخ نور الدين طالب الدومي في ترجمته لابن بدران.

-
- الملتقى الفقهي
 - هيئة الشام الإسلامية

المصادر: